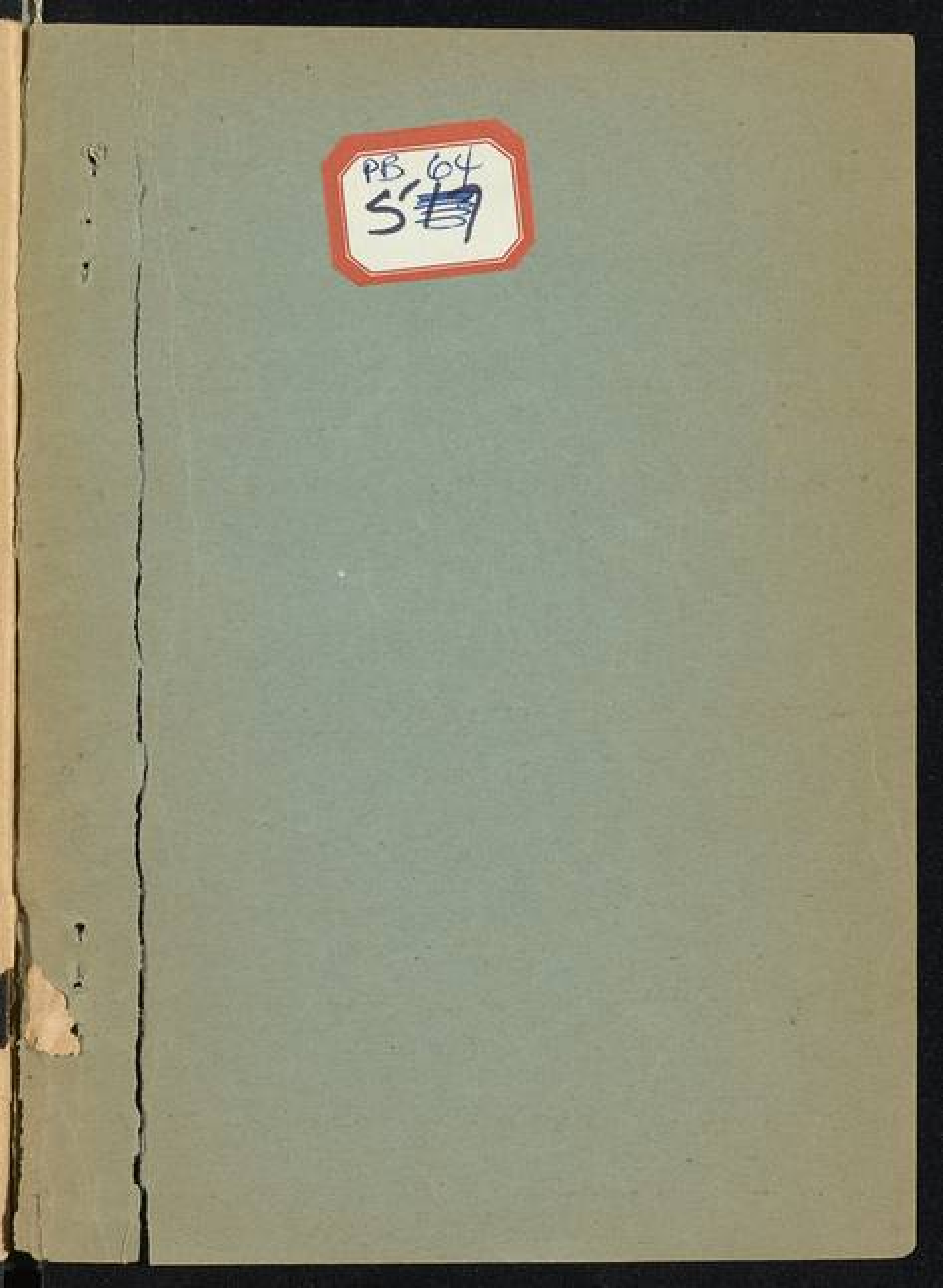
رسائل الإخوان المسلمين

دعوتنا في طور جديد

للإمام الشهيد حسن البنا

الناشر
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي
١٩٥٤


PB 64

من رسائل الإخوان المسلمين

دعوتنا فى طور جديد

للإمام الشهيد حسن البنا

الناشر
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من الواجب قبل أن نتطرق فى دراستنا إلى مختلف نواحى الفكرة الإسلامية ، وقبل أن نتولى الرد على ما يحوم حولها من شبهات ، وقبل أن نعرض على بساط النقد غيرها من الأفكار ، أقول كان من الواجب أن نلم إلمامة سريعة بأهداف فكرتنا وخصائصها ووسائلها ، حتى تكون جولاتنا المقبلة على أساس من فهم سابق لفكرتنا . . .

ربانيــة عالميــة

أخص خصائص دعوتنا ربانية عالمية :

(ا) أما أنها ربانية فلأن الأساس الذى تدور عليه أهدافنا جميعاً أن يتعرف الناس إلى ربهم ، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها ، ونحن الإخوان المسلمين نهتف من كل قلوبنا . « الله غايتنا » فأول أهداف هــذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التى تربطهم بالله تبارك وتعالى والتى نسوها فأنساهم الله أنفسهم « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » وهذا فى الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التى أوصدها الجمود والمادية فى وجوه البشر جميعاً فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلا ، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح .

(ب) وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس فى حكمها إخوة : أصلهم واحد ، وأبوهم واحد ، ونسبهم واحد لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » .
فنحن لانؤمن بالعنصرية الجنسية ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان ولكنا ندعو إلى الإخوة العادلة الرحيمة بين بنى الإنسان .

قرأت لأحد زعماء الغرب أنه يقسم الجنس البشرى إلى مبتكرين ومحافظين ومخربين ، وهو يعتبر قومه مبتكرين ويعتبر قوماً آخرين من الغربيين محافظين ويعتبرنا نحن الشرقيين وما إلينا عدا هذين مخربين ومدمرين . هذا التقسيم ظالم جائر فضلا عن أنه غير صحيح بأصله ، فالجنس البشرى كله مرده إلى دم واحد وطينة واحدة وإن اختلفت البيئات والأوساط والمدارك والثقافات وإذا هذب الإنسان استطاع أن يرتقى من رتبته إلى أعلى منها بدرجة ما يصل إليه من تهذيب . وليس هناك جنس من بنى آدم لا يمكن إصلاحه فى حدود ظروفه وبيئته الخاصة به ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا الشرق الذى وضع فى صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات ومشرق الحضارات ومهبط الرسالات وهو مفيض ذلك كله على الغرب ، لاينكر هذا إلا جاحد مكابر ، ومثل هذه المزاعم الباطلة إنما هى نزوات من غرور الإنسان وطيش الوجدان لا يمكن أن تستقر على أساسها نهضات أو تقوم على قاعدتها مدنيات ، وما دام فى الناس من يشعر بمثل هذا

الشعور لأخيه الإنسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان حتى يعود الناس إلى علم الأخوة فيرفعونه خفاقاً ، ويستظلون بظله الوارف الأمين ، ولن يجدوا طريقاً معبدة إلى ذلك كطريق الإسلام الذى يقول كتابه : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ويقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » رواه أحمد من حديث جرير بن مطعم رضى الله عنه ولهذا كانت دعوة الإخوان المسلمين ربانية إنسانية .

بين العقلية الغيبية والعقلية العلمية

ولقد تذبذب العقل البشرى منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض إلى يومه هذا — وأغلب الظن أنه سيظل كذلك حتى تتداركه هداية من الله — بين أطوار ثلاثة وإن شئت قلت بين ألوان ثلاثة من ألوان التفكير والتصوير : طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب المجهول له والقوى الخفية البعيدة عنه ، فهو ينسب إليها كل شىء ويفسر بها كل شىء . ولا يرى لنفسه معها عملا ولا فكراً ، وكثيراً ما استبد هذا الطور بالإنسان فى أدوار حياته الأولى يوم عاش على هذه الأرض يجهلها وتجهله ، ولعل أقواما من بنى الإنسان لا يزالون يعيشون على هذا النحو إلى الآن .

وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول والخروج على هذه القوى البعيدة عن حس الإنسان والتمرد على كل ما يتصل إليها بسبب ، ومحاولة تفسير مظاهر الكون جميعاً محاولة مادية صرفة وفق قوانين تجريبية اهتدى إليها الإنسان بطول تجاربه ودوام بحثه وتفكيره وكثيراً ما طغى هذا التفكير على العقل الإنسانى فى هذه العصور الحديثة التى وصل فيها الإنسان إلى الكشف عن كثير من مجهولات الطبيعة ، وعرف فيها الكثير من خواص الكائنات فظن أنه واصل لا محالة بهذا الأسلوب إلى معرفة ما هناك وإن كان الذى يعرفه بالنسبة إلى ما يجهله كالذرة من الرمال فى الفلاة الواسعة الفسيحة .

وفى هذا الدور أنكر الإنسان المادى الألوهية وما يتصل بها والنبوات وما يمتّ إليها والآخرة والجزاء والعالم الرّوحى بكلّ ما فيه ، ولم ير شيئاً إلا هذا العالم الأدنى المحدود يفسر ظواهره بحسب قوانينه المادية الصرفة .

كلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح وغلو فاحش وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان ، ولقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلا حقاً ، فيقرر حق العالم الروحى ويوضح صلة الإنسان بالله رب الكائنات جميعاً وبالحياة الآخرة بعد هذه الحياة الدنيا ، ويجعل الإيمان بالله أساس صلاح النفس التى هى من عالم

الروح فعلا والتى لا سبيل إلى صلاحها إلا بهذا الإيمان ويصف ذلك العالم الغيبى المجهول وصفاً يقربه إلى الأذهان ولا يتنافى مع بدهيات العقول وهو مع هذا يقرر فضل هذا العالم المادى وما فيه من خير للناس لو عمروه بالحق وانتفعوا به فى حدود الخير ويدعو إلى النظر السليم فى ملكوت السموات والأرض ويعتبر هذا النظر أقرب الطرق إلى معرفة الله العلى الكبير . هذا الموقف من الإسلام الحنيف ألزم العقل البشرى لونا من ألوان التفكير . هو أكملها وأتمها وأكثرها انطباقا على واقع الحيـــاة ومنطق الكون ، وأعظمها نفعاً لبنى الإنسان : ذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل . فنحن نعيش فى عالمين فعلا لا فى عالم واحد ، ونحن عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلا ، عاجزون عن إدراك كل الحقائق الأولية التى تحيط بنـا ، ونحن فى إدراكها ننتقل من مجهول إلى مجهول حتى ينتهى بنا العجز إلى الإقرار بعظمة الله ، ونحن نشعر من أعماق قلوبنا بعاطفة الإيمان قوية مشبوبة ، لأن الإيمان من فطرة نفوسنا وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء والهواء والماء للأجسام سواء بسواء ، ونحن بعد ذلك نلمس أن هذا المجتمع الإنسانى لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس مراقبة الله والتعزى بمعرفته ، ومن هنا كان لزاماً على الناس أن يعودوا إلى الإيمان بالله وبالنبوات وبالروح

وبالحياة الآخرة ، وبالجزاء فيها على الأعمال ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . كل هذا فى الوقت الذى يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء وتنتفع بما فى الوجود من خيرات وميزات : « وقل رب زدنى علما » وإلى هذا اللون من التفكير الذى يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية ندعوا الناس .
لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادى النزعة لا يشعر بغير المادة ولا يعترف بغير المادة ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت فى نفوس أبنائه عواطف الرحمة الإنسانية ، وخبت أنواع الروحانية الربانية ، وهيمن الغرب على الدنيا بأسرها بعلومه ومعارفه ومباهجه وزخارفه وكشوفه ومخترعاته وجنوده وأمواله ، وصبغ الفكر البشرى فى كل مكان بصبغته هذه . والآن والدنيا كلها تكتوى بهذه النيران تنبثق الدعوة من جديد لتهيب بالناس فى الشرق والغرب معاً أن يمزجوا المادة بالروح ، وأن يؤمنوا بالغيب والشهادة ، وأن يتعرفوا من جديد إلى الله : « ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين » .

مكان القومية والعروبة والشرقية والعالمية
من هذه الدعوة

وكما أن دعوتنا هذه ربانية تدعو إلى هجر المادية ومقاومتها والوقوف فى وجه طغيانها والحد من سلطانها والفرار إلى الله والإيمان به والاعتماد عليه وحسن مراقبته فى كل عمل ، فهى كذلك إنسانية تدعو إلى الأخوة بين بنى الإنسان وترمى إلى إسعادهم جميعاً لأنها إسلامية ، والإسلام للناس كافة ليس لجنس دون جنس ولا لأمة دون أخرى « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »

ومن هذا العموم فى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ومدى رسالته استمدت دعوتنا العموم فى هدفها ومرماها فهى دعوة توجه الناس جميعا وتؤاخى بينهم جميعاً وتسعى لخيرهم جميعا ولا تعترف بفوارق الأجناس والألوان ولا تتغير بتغير الشعوب والأوطان .

وتتردد فى أفواه الدعاة والناس ألفاظ كثيرة يعنون بها آراء ومذاهب فأين مكان هذه الألفاظ فى دعوتنا ؟ إن لكل لفظ من

هذه الألفاظ ولكل رأى من هذه الآراء مكاناً فى دعوتنا لا لأننا نعمل لإرضاء الجميع ونجامل فى الفكرة وعلى حسابها ولكن لأن طبيعة دعوتنا هكذا عموم وشمول .

(ا) فالمصرية أو القومية لها فى دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها من الكفاح والنضال .

إننا مصريون بهذه البقعة الكريمة فى الأرض التى نبتنا فيها ونشأنا عليها ومصر بلد مؤمن تلقى الإسلام تلقيا كريما وذاد عنه ورد عنه العدوان فى كثير من أدوار التاريخ وأخلص فى اعتناقه وطوى عليه أعطف المشاعر وأنبل العواطف وهو لا يصلح إلا بالإسلام ولا يداوى إلا بعقاقيره ولا يطب له إلا بعلاجه . وقد انتهت إليه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الإسلامية والقيام عليها فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر ؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع ؟ وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادى بالإسلام ويهتف بالإسلام ! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدون فى سبيل خيره وسنظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسلة النهضة المنشودة ، وأنها جزء من الوطن العربى العام . وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام .

وليس يضيرنا فى هذا كله أن نعنى بتاريخ مصر القديم وبما ترك

قدماء المصريين من آثار الحضارة والعمران وبما سبقوا إليه الناس من المعارف والعلوم والفنون . فنحن نرحب بعصر القديمة كتاريخ فيه مجد وفيه عزة وفيه علم ومعرفة . ونحارب هذه النظرية بكل قوانا كمنهاج عملى يراد صبغ مصر به ودعوتها إليه بعد أن هداها الله بتعاليم الإسلام وشرح له صدرها وأنار به بصيرتها وزادها به شرفا ومجداً فوق مجدها ، وخلصها بذلك مما لاحق هذا التاريخ من أوضار الوثنية وأدران الشرك وعادات الجاهلية .

(ب) والعروبة : أو الجامعة العربية ، لهـا فى دعوتنا كذلك مكانها البارز وحظها الوافر ، فالعرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخير ويحق ما قاله صلى الله عليه وسلم : « إذا ذل العرب ذل الإسلام » ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها وإن كل شبر أرض فى وطن عربى نعتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا .

فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لا تمزق فى أنفسنا أبدا معنى الوحدة العربية الإسلامية التى جمعت القلوب على أمل واحد وهدف واحد ، وجعلت من مكان هذه الأقطار جميعاً أمة واحدة مهما حاول المحاولون وافترى الشعوبيون .

ومن أروع المعانى فى هذا السبيل ما حدد به الرسول صلى الله عليه وسلم معنى العروبة إذ فسرها بأنها اللسان والإسلام .

فقد روى الحافظ بن عساكر بسنده عن مالك قول النبى صلى الله عليه وسلم : يأيها الناس إن الرب واحد ، والأب واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربى » .

وبذلك نعلم أن هذه الشعوب الممتدة من خليج فارس إلى طنجة ومراكش على المحيط الأطلسى كلها عربية تجمعها العقيدة ويوحد بينها اللسان ، وتؤلفها بعد ذلك هذه الوضعية المتناسقة فى رقعة من الأرض واحدة متصلة متشابهة لا يحول بين أجزائها حائل ، ولا يفرق بين حدودها فارق ، ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للاسلام ولخير العالم كله .

(ح) والشرقية لها فى دعوتنا مكانها وإن كان المعنى الذى يجمع بين المشاعر فيها معنى وقتياً طارئاً إنما ولده وأوجده اعتزاز الغرب بحضارته وتعاليه بمدنيته وانعزاله عن هذه الأمم التى سماها الأمم الشرقية وتقسيمه العالم إلى شرقى وغربى ، وندائه بهذا التقسيم حتى فى قول أحد شعرائه المأثورة : الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن أن يجتمعا . هذا المعنى الطارىء هو الذى جعل الشرقيين يعتبرون أنفسهم صفاً يقابل الصف الغربى ، أما حين يعود الغرب إلى الإنصاف ويدع سبيل الاعتداء والإجحاف فتزول هذه العصبية الطارئة وتحل محلها الفكرة الناشئة ، فكرة التعاون بين الشعوب على ما فيه خيرها وارتقاؤها .

(د) أما العالمية أو الإنسانية فهى هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات فى سلسلة الاصلاح والدنيا صائرة إلى ذلك لامحالة فهذا التجمع فى الأمم ، والتكتل فى الأجناس والشعوب ، وتداخل الضعفاء بعضهم فى بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة ، وانضمام المفترقين ليجدوا فى هذا الانضمام أنس الوحدة ، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التى آمن بها الناس من قبل ، وكان لابد أن يؤمنوا هذا الإيمان لتتجمع الخلايا الأصلية ، ثم كان لابد أن ينزحوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة ، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة وهى خطوات إن أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون ، وحسبنا أن نتخذ منها هدفا ، وأن نضعها نصب أعيننا مثلا ، وأن نقيم فى هذا البناء الإنسانى لبنته وليس علينا أن يتم البناء فلكل أجل كتاب .

وإذا كان فى الدنيا الآن دعوات كثيرة ونظم كثيرة يقوم معظمها على أساس العصبية القومية التى تستهوى قلوب الشعوب وتحرك عواطف الأمم ، فإن هذه الدروس القاسية التى يتلقاها العالم من آثار هذه القوة الطاغية كفيلة بأن يفئ الناس إلى الرشد ويعودوا إلى التعاون والإخاء .

ولقد رسم الإسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة أولا ؛

ثم وحد النظم والأعمال بعد ذلك . وظهر هذا المعنى الساحر النبيل في كل فروعه العملية .

فرب الناس واحد ، ومصدر التدين واحد ، والأنبياء جميعاً مقدسون معظمون ، والكتب السماوية كلها من عند الله ، والغاية المنشودة اجتماع القلوب : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

والقرآن عربي وهو أساس هذا الدين وركن الصلاة أفضل القربات إلى الله ، وتلك هي الوسيلة العملية إلى وحدة اللسان بعد وحدة الإيمان .

وهذه الصلاة وتلك الزكاة ، والحج والصوم ، إنما هي كلها تشريعات اجتماعية يراد بها توثيق لوحدة وجمع الكلمة وإزالة الفوارق وكشف الحجب والموانع بين بنى الإنسان .

ومن هنا كانت دعوتنا ذات مراحل نرجو أن تتحقق تباعا ، وأن نقطعها جميعاً وأن نصل بعدها إلى الغاية .

« نرجو فى مصر دولة مسلمة تحتضن دعوة الإسلام وتجمع كلمة الأمم العربية وتعمل لخيرها وتحمى المسلمين فى أكناف الأرض من عدوان كل ذى عدوان وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

يقظة الروح — الإيمان والعزة والأمل

وينظر الناس فى الدعوات إلى مظاهرها العملية وألوانها الشكلية ويهملون كثيراً النظر إلى الدوافع النفسية والإلهامات الروحية التى هى فى الحقيقة مدد الدعوات وغذاؤها وعليها يتوقف انتصارها ونماؤها . وتلك حقيقة لا يجادل فيها إلا البعيد عن دراسة الدعوات وتعرف أسرارها ، إن من وراء المظاهر جميعاً فى كل دعوة لروحا دافعة ، وقوة باطنة تسيرها وتهيمن عليها وتدفع إليها ، ومحال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية فى النفوس والأرواح والمشاعر : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ولهذا أستطيع أن أقول إن أول ما نهتم له فى دعوتنا ، وأهم ما نعول عليه فى نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجلة . فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح ، حياة القلوب ، صحوة حقيقية فى الوجدان والمشاعر ، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح فى النواحى العملية المختلفة بقدر ما يعنينا أن نركز فى النفوس هذه الفكرة .

نحن نريد نفوسا حية قوية فتية ، قلوبا جديدة خفاقة ، مشاعر غيورة ملتهبة مضطربة ، أرواحا طموحة متطلعة متوثبة تتخيل مثلا عليا ، وأهدافا سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها

ثم تصل إليها . ولا بد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل ، ولا بد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر ، ولا بد من أن تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدلا ولا تحتمل شكا ولا ريبا . وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه فى البيداء لاضوء له ولا حرارة فيه ، فما حدود الأهداف ومامنتهاها ؟!

إننا نتحرى بدعوتنا نهج الدعوة الأولى ونحاول أن تكون هذه الدعوة الحديثة صدى حقيقيا لتلك الدعوة السابقة التى هتف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بطحاء مكة قبل ألف ومئات من السنين ، فما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة ، الزاهى بجلال الوحى لنقف بين يدى الأستاذ الأول وهو سيد المربين وخير المرسلين الهادين لنتلقى عنه دروس الإصلاح من جديد ، وندرس خطوات الدعوة من جديد .

أى نور من وهج الشموس الربانية أشعله النبي الكريم فى قلوب صحابته فأشرقت وأضاءت بعد ظلمة وديجور ؟ وأى ماء من فيض الحياة الروحية أفاضه عليها فاهتزت وربت ونمت فيها الأزاهير وأورقت بالوجدانيات والمشاعر وترعرعت فيها العواطف والضمائر ؟!.

إن النبي صلى الله عليه وسلم قذف فى قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة فأشرقت بها وانطبعت عليها :

(ا) قذف فى قلوبهم أن ما جاء به هو الحق وما عداه الباطل وأن رسالته خير الرسالات ، ونهجه أفضل المناهج ، وشريعته أكمل النظم التى تتحقق بها سعادة الناس أجمعين وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتا فى النفس وتمسكا فى القلب : « فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » ، « فتوكل على الله إنك على الحق المبين » ، « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » فآمنوا بهذا واعتقدوه وأصدروا عنه .

(ب) وقذف فى قلوبهم أنهم ما داموا أهل الحق وما داموا حملة رسالة النور وغيرهم يتخبط فى الظلام . وما دام بين يديهم هدى السماء لإرشاد الأرض فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس

وأن يقعدوا من غيرهم مقعد الأستاذ من تلميذه يحنو عليه ويرشده ويقومه ويسدده ويقوده إلى الخير ويهديه سواء السبيل .

وجاء القرآن الكريم يثبت هذا المعنى ويزيده كذلك وضوحا وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحى السماء . « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

ويكون الرسول عليكم شهيداً » « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج » فآمنوا بهذا أيضاً واعتقدوه وأصدروا عنه .

(ج) وقذف فى قلوبهم أنهم ماداموا كذلك مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه ، فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم ويؤيدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس ، ويدفع عنهم إذا أعوزهم النصير ، وهو معهم أينما كانوا وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزل عليهم المدد من جند السماء وأخذوا يقرءون هذه المعانى واضحة فى كتاب الله :

« إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » « أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض » .

قرأوا هذا وفقهوه جيداً فآمنوا به واعتقدوه وأصدروا عنه .

وبهذه المشاعر الثلاثة الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل فى تأييد الله إياها أحياها الراعى الأول صلى الله عليه وسلم فى قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله وحدد لهم أهدافهم فى هذه

الحياة فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة فى صدورهم أو مصاحفهم بادية فى أخلاقهم وأعمالهم معتدين بتكريم الله إياهم واثقين بنصره وتأييده فدانت لهم الأرض وفرضوا على الدنيا مدنية المبادىء الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة وبدلوا فيها سيئات المادية الجامدة إلى حسنات الربانية الخالدة ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

إلى هذه المشاعر الثلاثة ندعو الناس أولا :

أيها الناس قبل أن نتحدث إليكم فى هذه الدعوة عن الصلاة والصوم وعن القضاء والحكم وعن العادات والعبادات وعن النظم والمعاملات نتحدث إليكم عن القلب الحى والروح الحى والنفس الشاعرة والوجدان اليقظ والإيمان العميق بهذه الأركان الثلاثة : الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل فى تأييد الله إياها فهل أنتم مؤمنون ؟ .

الفرد المسلم ، البيت المسلم ، الأمة المسلمة

وهذا الشعور القوى الذى يجب أن تفيض به النفوس ، وهذه اليقظة الروحية التى ندعو الناس إليها لا بد أن يكون لها أثرها العملى فى حياتهم ! ولا بد أن تسبقها ولا شك نهضة عملية تتناول الأفراد والأسر والمجتمعات .

(١) ستعمل هذه اليقظة عملها فى الفرد فإذا به نموذج قائم

لما يريده الإسلام فى الأفراد . . . إن الإسلام يريد فى الفرد وجدانا شاعراً يتذوق الجمال والقبح ، وإدراكا صحيحاً يتصور الصواب والخطأ وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق وجسما سليما يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير .

وقد وضع الإسلام تكاليفه الشخصية على القواعد التى توصل إلى هذه النتائج كلها، ففى العبادات الإسلامية أفضل مايصل القلب بالله ، ويربى الوجدان الشاعر والإحساس الدقيق ، وفى النظر الإسلامى ما يرقى بالعقول والألباب ويدفعها إلى كشف ستائر الكون ومعرفة دقائق الوجود .

وفى الخلق الإسلامى ما يربى الإرادة الحازمة والعزيمة الماضية الصارمة ، وفى النظام الإسلامى فى الطعام والشراب والمنام وتوابع ذلك من شئون الحياة ما لو اتبعه الفرد لحفظ جسمه من مهلكات لا دواء لها ، ولظل فى وقاية من فواتك الأمراض .

ولهذا توجب على الأخ المسلم أن يتعبد بما أمره الله به ليرقى وجدانه وأن يتعلم ماوسعه العلم ليتسع إدراكه وأن يتخلق بأخلاق الإسلام لتقوى إرادته وأن يلتزم نظام الإسلام فى الطعام والشراب والنوم ليحفظ الله عليه بدنه من غوائل الأمراض والسقام والإسلام حين يضع هذه القواعد لا يضعها للرجال ويدع النساء

ولكن الصنفين فى هذه الناحية الفردية فى الإسلام سواء ، فعلى الأخت المسلمة أن تكون كالأخ المسلم فى دقة وجدانها وسمو إدراكها ومكانة خلقها وسلامة بدنها .

(ب) وسيكون لهذا الإصلاح الفردى أثره فى الأسرة فإنما الأسرة مجموعة أفراد فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة ، وهما عماد الأسرة استطاعا أن يكونا بيتا نموذجياً على القواعد التى وضعها الإسلام ، وقد وضع الأسلام قواعد البيت فأحكم وضعها ، فأرشد إلى حسن الاختيار ، وبين أفضل الطرائق للارتباط وحدد الحقوق والواجبات ، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتنضج فى غير عبث ولا إهمال ، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج . واختط فى كل نظراته طريقاً وسطا لا تفريط فيه ولا إفراط .

(جـ) وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة وإنما الأمة مجموعة هذه الأسر وإنما الأسرة أمة مصغرة والأمة أسرة مكبرة ، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الإجتماعية السعيدة فعقد بين بنيها آصرة الأخوة وجعلها قرينة الإيمان ، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة بل إلى الإيثار ، وقضى على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الروابط أو يضعف هذه الوشائج ، وحدد الحقوق والواجبات والصلات ، فللأبوة حقها وعليها واجبها وللبنوة مثال ذلك

ولذوى القربى حقوقهـا وعليهم واجباتهم ، وفصـل مهمة الحاكم والمحكوم أدق تفصيل ، وبين للمعاملات بين الناس أحكامها بأفصح بيان ، ولم يجعل لأحد على أحد فضلا إلا بالتقوى فلا سيد ولا مسود ولا أمراء ولا عبيد ، ولـكن الناس فى ذات الله سـواسية كأسنان المشط ، إنما يتفاوتون بعمل الصالحات ، وكذلك حدد صلات الأمم بعضها ببعض ، وبين حقوق كل صنف فيها وواجباته ، ولم يدع من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وقد عالج الإسـلام بعد ذلك مشاكل المجتمعات . فالوقاية مما يؤدى إليها أولا ، واستئصال ما عساه أن يحدث منها ثانياً فلـكل مشكلة اجتماعية عنده دواء ، والدواء الأول فى كل علاج صلاح النفوس والتضامن الاجتماعى بين بنى الانسان .

والإسلام يحيط بكل ذلك لا يسلك سـبيل العنت ، ولا يحمل الناس على ما يؤدى إلى الحرج ولـكن يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر ويضع القواعد الكلية ويدع الفرعيات الجزئيات ويرسم طرائق التطبيق ، ويكل للأزمان والعصور بعد ذلك أن تعمل عملها وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان ، وهو لذلك يفرض نشر الدعوة حتى تشمل الناس أجمعين ويتحقق قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وإذا قوى الشعور الذى أشرنا إليه آنفاً ، وأدى إلى نتيجته التى وضعناها الآن فطبق نظام الإسلام

على الفرد والبيت والأمة ووصلت الرسالة إلى القلب والآذان ، فقد نجحت فكرتنا واستجيبت دعوتنا ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

بين الصبغة الاستقلالية والصبغة التقليدية

نحن نريد الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والشعب المسلم ، ولكننا نريد قبل ذلك أن تسود الفكرة الإسلامية حتى تؤثر فى كل هذه الأوضاع وتصبغها بصبغة الاسلام وبدون ذلك لن نصل إلى شىء ، نريد أن نفكر تفكيراً استقلالياً يعتمد على أساس الإسلام الحنيف لا على أساس الفكرة التقليدية التى جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته فى كل شىء نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كأمة عظيمة مجيدة تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد .

لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية تغلغلت فى الضمائر والمشاعر ولصقت بحنايا الضلوع وشغاف القلوب واندمجت مصر بكليتها فى الإسلام بكليته : عقيدته ولغته وحضارته ودافعت عنه وذادت عن حياضه وردت عنه عادية المعتدين ، وجاهدت فى سبيله ما وسعها الجهاد بما لها ودم أبنائها وأنقذته من براثن التتار وأنياب الصليبيين ، وردت الجميع على أعقابهم خاسرين واستقرت فيها علوم الإسلام ومعارفه ، واحتوت الأزهر أقدم

جامعة تقوم على حياطته ورعايته وحراسته وانتهت إليها زعامة شعوبه الأدبية والاجتماعية ، وصارت مطمح أنظار الجميع ومعقد آمالهم .

هذا الإسلام ، عقيدته ونظمه ولغته وحضارته ، ميراث عزيز غال على مصر ليس تفريطها فيه بالشيء الهين ولا إبعادها عنه بالأمر المستطاع مهما بذلت فى سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة . ومن هنا بدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة فى كثير من جوانب الحياة المصرية . فأسماؤها إسلامية ولغتها عربية ، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء ، وهذه مشاعرنا لا تهتز لشيء اهتزازها للاسلام وما يتصل بالإسلام . كل ذلك حق ، ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزواً قوياً عنيفاً بالعلم والمال ، وبالسياسة والترف . والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التى لم نكن نعرفها من قبل فأعجبنا بها وركنا إليها ، وأثر هذا الغزو فينا أبلغ الأثر وانحسر ظل الفكرة الإسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية فى كثير من شئونها الهامة ، واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوربية وحصرنا سلطان الإسلام فى حياتنا على القلوب والمحاريب ، وفصلنا عنه شئون الحياة العملية ، وباعدنا بينه وبينها مباعدة شديدة وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متذبذبة أو متناقضة .

الإسلام بما فيه من روعة وجلال ، وبسلطانه الساحر العذب

الجذاب ، وأصوله الثابتة المدعمة القويمة ، وحجته البالغة يجذب إليه القلوب والمشاعر . ويجعلنا نحن المؤمنين به فى حنين دائم إليه وهذه الحياة الغربية بما تحتويه من مباهج ومفاتن وبما لها من مظاهر القوة المادية تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقى لنا من شئوننا الحيوية . هذا وضع مشاهد ملموس يراه ويعلمه كل من يعنيه أمر هذه الأمة ولا بد أن ينتهى هذا التذبذب إلى استقرار ولا بد أن يتغلب أحد الجانبين على الآخر فلكل شىء نهاية ! . فنحن الإخوان المسلمين نشفق كل الإشفاق من أن تكون هذه النهاية هى التحلل مما بقى من مظاهر الإسلام والانغماس الكلى فى الحياة الغربية بكل مظاهرها . ولقد ارتفعت بذلك صيحات وقامت على قواعده دعوات ، وسبقتنا إليه شعوب وحكومات ، وإن كان ذلك كله قد خفت وطأته الآن أمام ما يقاسى العالم كله من محن وويلات .

نحن نشفق من هذا المصير ، وندعو إلى أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام وقواعده ، تعتمد عليها وتستمد منها وتبنى على أساسها النهضة الجديدة وتركز عليها الأوضاع الاجتماعية فى المستقبل إن شاء الله .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى أن نأخذ من كل شىء أحسنه ، وينادى بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ولا يمانع فى أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أى مكان فليس

هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا ونطبقه على قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا .

أما أثر هذا التذبذب فى مظاهر حياتنا العملية فكبير واضح ، ولعله مصدر كثير من المشكلات فى التعليم والقضاء ، وفى حياة الأسرة وفى منابع الثقافة العامة وفى غير ذلك من الشئون العامة هل هنــــاك أمة غير مصر يسير التعليم فيها من أول خطواته على هذين اللونين من ألوان التربية ، فهناك التعليم الدينى يتصل بنصف الأمة وينتهى إلى الأزهر ومعاهده وكلياته ، وهناك التعليم المدنى يتصل بالنصف الثانى ويتميز كل منهما بخواصه ومميزاته ؟ وهل لذلك من سبب سوى أن السلسلة الأولى هى أثر الإسلام الباقى فى نفوس هذه الأمة وأن السلسلة الثانية هى نتاج مجاراة الغرب والأخذ عنه ، فما الذى يمنع من توحيد التعليم فى مراحله الأولى على أساس التربية القومية الإسلامية ثم يكون بعد ذلك التخصص ، وهل هناك أمة غير مصر ينقسم فيها القضاء إلى شرعى وغير شرعى كما ينقسم القضاء المصرى وهل لذلك من سبب سوى أن القضاء الأول أثر الإسلام فى الحياة المصرية والثانى وليد النقل عن الغرب والأخذ عنه ، وما الذى يمنع من أن تتوحد المحكمة على أساس اعتبار الشريعة الإسلامية هى شريعة البلاد ومصدر التقنين ؟

وهذه البيوت المصرية ، ألسنا نلمح فيها أثر هذه الحياة المذبذبة

المتناقضة ، فكثير من الأسر المصرية لا تزال شديدة المحافظة على ما ورث من تعاليم الإسلام وآدابه فى الوقت الذى انسلخ فيه الكثير عن هذه التعاليم وخرج على هذه الآداب وغلبت عليه نزعة التقليد فى كل شىء بل جاوز بعضنا ذلك الحد حتى صار غربياً أكثر من الغربيين .

ولا بد من وضع حد لهذا التفاوت الغريب حتى نظفر بالأمة الموحدة ، فبدون الوحدة لا تتحقق نهضة ولا تحيا أمة حياة الكمال .

لهذا يدعو الإخوان المسلمون إلى أن يكون الأساس الذى تعتمد علية نهضتنا هو توحيد مظاهر الحياة العملية فى الأمة على أساس الإسلام وقواعده وبذلك تبنى مصر نفسها ، وتقدم للعالم كله أكمل نماذج الحياة الإنسانية الصحيحة .

وسيلتنا العامة . . . بين جماعة وفكرة

الكلام عن الوسيلة العامة للاخوان المسلمين يقف بنا أمام هذه الدعوة كجمعية من الجمعيات التى تقوم بالخدمة العامة ثم بنا كذلك أمامها كدعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب التى ترسم لها منهاجاً جديداً تؤمن به وتسير عليه .

(١) لا شك أن جماعات الإخوان المسلمين جماعات تقوم بالخدمة العامة من بناء المساجد وعمارتها ، ومن فتح المدارس

والمكاتب والإشراف عليها ، ومن إنشاء الأندية والفرق وتوجيهها ورعايتها ومن الاحتفال بالذكريات الإسلامية احتفالا يليق بجلالها وعظمتها ، ومن الاصلاح بين الناس فى القرى والبلدان إصلاحا يوفر عليهم كثيراً من الجهود والأموال ، ومن التوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين بتنظيم الاحسان وجمع الصدقات لتوزع فى المواسم والأعياد ، لا شك أن الإخوان يقومون بهذا كله ولهم فيه والحمد لله أثر يذكر ، وقد تضاعف نشاطهم فى هذه النواحى مضاعفة ملموسة فى هذا الدور من أدوار الدعوة بطبيعة التفات الناس إليها وإقبالهم عليها ووسيلة الإخوان فى هذه الميادين التنظيم والتطوع والاستعانة بأهل الرأى والخبرة وتدبير ما تحتاج إليه هذه المشروعات من أموال من المشتركين تارة ومن المتبرعين أخرى إلى مايدفع لمثل هذه المشروعات ، ولسنا نقول إن الإخوان قد اكتملت جهودهم فى هذه الناحية ولكنا نقول إنهم يسيرون بخطوات واسعة نحو الكمال ، والله الموفق والمستعان . هؤلاء هم الإخوان وتلك هى دعوتهم كجماعة من جماعات الخدمة العامة .

(ب) ولكن الاخوان كما علمت ليسوا كذلك فحسب ولكن لب دعوتهم فكرة وعقيدة يقذفون بها فى نفوس الناس لتربى عليها الرأى العام وتؤمن بها القلوب وتجتمع من حولها الأرواح :

تلك هى العمل للاسلام والعمل به فى كل نواحى الحياة .

أما الوسيلة إلى تحقيق ذلك فليست المال ، والتاريخ منذ عرف إلى الآن يحدثنا أن الدعوات لا تقوم أول أمرها بالمال ولا تنهض به بحال ، فهى تحتاج إلى مال فى بعض مراحل طريقها ولكن محال أن يكون قوامها ودعامتها ، فرجال الدعوات وأنصارها هم دائماً المقلون من هذا المال وسل التاريخ ينبئك وليست الوسيلة القوة كذلك فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولا وتناجى القلوب وتطرق مغاليق النفوس ، ومحال أن تثبت بالعصا أو أن تصل إليها على شبا الأسنة والسهام ولكن الوسيلة فى تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات ، وخلاصة ذلك جملتان : إيمان وعمل ومحبة وإخاء ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تركيز دعوته فى نفوس الرعيل الأول من أصحابه أكثر من أنه دعاهم إلى الإيمان والعمل ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة وصارت جماعتهم هى الجماعة النموذجية التى لابد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعاً ؟ وماذا فعل الدعاة من قبل ومن بعد أكثر من هذا . ينادون بالفكرة ويوضحونها ويدعون الناس إليها فيؤمنون بها ويعملون لتحقيقها

ويجتمعون عليها ويزدادون عددا فتزداد الفكرة بهم ظهوراً حتى تبليغ مداها وتبتلع ما سواها ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وليست دعوة الإخوان بدعا فى الدعوات فهى صدى من الدعوة الأولى يدوى فى قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم ويحاولون أن يقذفوا به إيماناً فى قلوب الأمة المسلمة ليظهر عملا فى تصرفاتها ولتجمع قلوبها عليه فإذا فعلوا ذلك أيدهم الله ونصرهم وهداهم صواء السبيل . . فإلى الإيمان والعمل وإلى الحب والإخاء أيها الإخوان والله معكم وتلك هى وسيلتكم . والله غالب على أمره .

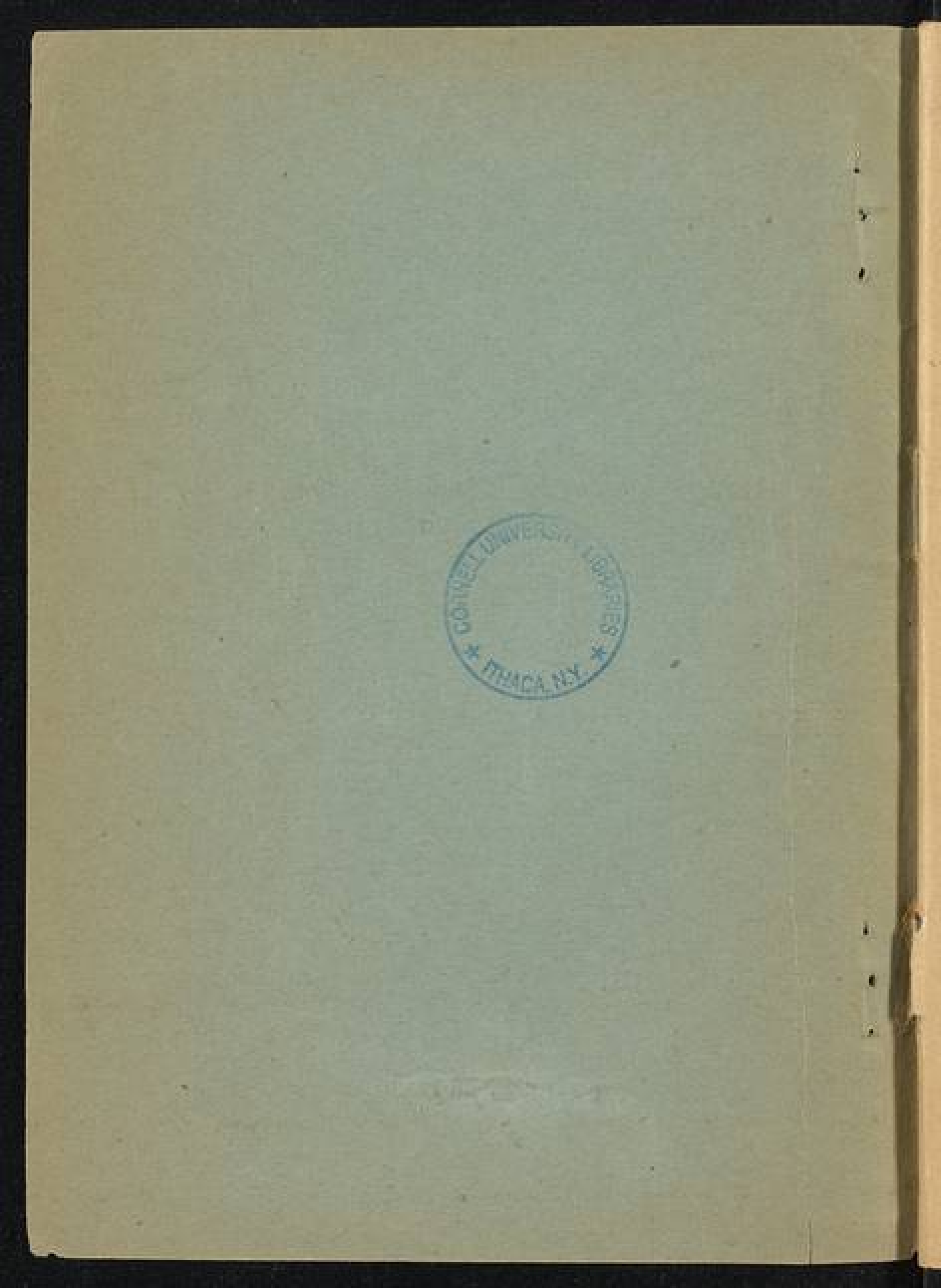
أسـئلة

١ — كيف نجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل ؟ .

٢ — تكلم عن مكان القومية والعروبة والعالمية من دعوتنا ؟ ثم اشرح معنى : الإسلام دين وجنسية .

٣ — نحن ندعو إلى نهضة تشمل جنبات الحياة جميعا فما عدتنا الأولى فى الوصول إلى ما نبغى ؟ .

٤ — تكلم عن آثار النزعة الغربية المادية فى وطننا .




UNIVERSITY LIBRARIES
JOHN M.
OLIN
LIBRARY
ITHACA, N.Y.